المرجعيات الثقافية في شعر البوصيري

م.م. نوال حسن ساجت
nawal.hasan@uokerbala.edu.iq
جامعة كربلاء/ كلية علوم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات

الملخص

يسعى البحث للتعريف بالمرجعيات الثقافية، والكشف عن الخلفية الثقافية عند شاعر من أبرز شعراء العصر الوسيط، ألا وهو الشاعر شرف الدين البوصيري، وكيف أثرت مرجعياته الثقافية في بناء نصه الشعري، وإمداده بالصور المختلفة، وحاول البحث الوقوف على هذه المرجعيات في شعره، سواء كانت؛ مرجعيات دينية، أو أدبية، أو تاريخية، وبيان أي المرجعيات أكثر بروزًا وظهورًا في شعره، فوجود هذه المرجعيات الثقافية في شعره، يدل على سعة ثقافته واطلاعه على العلوم والآداب والمعارف المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: المرجعيات الثقافية، شرف الدين البوصيري، العصر الوسيط.

Cultural references in Al-Busiri's poetry

NAWAL HASAN SACHIT

University of Kerbala\College of Computer Science and Information Technology

Abstract

The research seeks to introduce cultural references and reveal the cultural background of one of the most prominent poets of the Middle Ages. Namely, the poet is Sharaf al-Din al-Busiri, and how his cultural references influenced the construction of his poetic text and his provision of various images. The research attempted to determine these references in his poetry, whether they were; Religious, literary, or historical references, and an explanation of which references are more prominent and apparent in his poetry. The presence of these cultural references in his poetry indicates the breadth of his culture and his knowledge of sciences, literature, and diverse knowledge.

Keywords : Cultural references, Sharaf al-Din al-Busiri, Middle Ages.

المقدمة

يعد الشعر منصة للإبداع والتعبير عن الذات، بحيث يفتح الشاعر أبواب خياله، ويؤثر في النفوس، وهو الساحة التي يعرض فيها الشاعر ذخائره الفكرية والثقافية، ويكشف عن مكنوناته وعميق ثقافته؛ لتعزيز بنية النص وإلهام النفوس.

والمرجعيات الثقافية تعد من الركائز الأساسية التي تشكل البنية المعرفية، والفنية لأي نص أدبي، وبالأخص في الشعر الذي يعكس تفاعل الشاعر مع محيطه الفكري، والاجتماعي. في هذا السياق؛ يأتي شرف الدين البوصيري، الشاعر الذي عاش في فترة حافلة بالتغيرات السياسية، والاجتماعية والثقافية في العصر الوسيط، وقد تميزت أشعاره، بأنها وعاء تتجلى فيه تأثيرات ثقافية متعددة؛ تشمل التراث الديني الإسلامي، والموروثات الأدبية السابقة، والموروث التاريخي والفكري.

فالمتصفح لديوان الشاعر البوصيري، يلمس وجود مسحة ثقافية بين ثنايا قصائده، فشعره يكشف عن عميق ثقافته، وسعة اطلاعه على علوم ومعارف عصره، والعصور التي سبقته. فتجسدت ثقافته في أشعاره على شكل صور ومظاهر مختلفة، أي أذاب في النص الأدبي نصوصا سابقة لها، وتكون متعددة المعارف والمشارب؛ إما دينية أو أدبية أو تاريخية أو غير ذلك، فيكون حضورها أو استدعائها عن طريق اقتباسها وتضمينها في نصوصه الشعرية، بحيث تمتزج مع نصه الأصلي، مشكلة نصاً جديداً، وذلك بذوبانها مع بعضها البعض سواء من ناحية الأفكار أو المعاني أو الأسلوب، ومن هنا تفرز لنا هذه النصوص نصا إبداعيا جديدا ولد من رحمها.

التمهيد : في مفهوم المرجعيات الثقافية وسيرة الشاعر

أولاً/ المرجعية الثقافية في اللغة والاصطلاح:

١. المرجعية في اللغة والاصطلاح:

تعددت وتنوعت مدلولات ومفاهيم لفظة المرجعية، ما بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، فقد ذكرت المعجمات اللغوية كثير من المعاني لكلمة (مرجع) تكاد جلها تتفق على معنى واحد؛ وهو العودة والرجوع، إذ وردت كلمة المرجع عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ): ((الرَّجعة: مراجعةُ الرّجُلِ أهلَه بعدَ الطّلاق. وقوم يؤمنون بالرجعة إلى الدّنيا قبل يوم القيامة)) [١]، وتمت الإشارة إليها في لسان العرب بقوله: ((رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انْصَرَفَ)) [٢] وجاء في التنزيل الحكيم:﴿ إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾[٣] أي الرجوع.

فكلمة المرجعية ليس لها تعريف جامع مانع يحدها، فهي تتسم بالميوع والمطاوعة، وتدخل في كثير من المعارف والعلوم والآداب، فهناك مرجعيات دينية ومرجعيات أدبية ومرجعيات سياسية وتاريخية وغيرها. [٤]

فالمرجعية تدل على الرجوع والمآب، والعودة للإفادة من الأصول الثقافية المختلفة؛ من العلوم والمعارف المتنوعة.

أما معناها الاصطلاحي فهي حقيقة غير لسانية، تستدعيها العلامة، وهي أيضاً علاقة بين العلامة وما تشير إليه [٥] أي التوافق بين الكلمة والمعنى، وبين ما يريد الشاعر التعبير عنه باستعمال هذه اللفظة ، وقد يكون هذا التوافق ذهنياً؛ أي ما يدور في ذهن الشاعر ويظهر في كتاباته على شكل كلمات ورموز، والوظيفة المرجعية للغة ((هي الوظيفة التي تحيل، على ما تتكلم عنها وعلى موضوعات خارجية عن اللغة)) [٦] أي هي كل ما يستعمله الشاعر في نصه، من معان ودلالات استعان بها نتيجة اطلاعه لتكوين نصه.

٢. الثقافة في اللغة والاصطلاح:

الثقافة لفظة كثيرة الاستعمال واسعة النطاق إذ تعددت مفاهيم لفظة الثقافة في المعجمات اللغوية بين الحذق، والفهم، والمقدرة على اكتساب العلوم والمعارف، فجاءت مادة (ثقف) في لسان العرب: ((ثَقِفَ الشَّيءَ ثَقْفاً وثِقَافاً وثُقُوفَة: حَذَقَهُ. ورَجُلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمٌ))؛ [٧] فهي تعني التعلم والفطن، والفهم، والقدرة على اكتساب العلوم والمعارف، والحذق بها.

والثقافة اصطلاحا تدل على تطور الانسان عقلياً، من خلال التعليم والخبرة والتدريب، وهي مجموع أنماط السلوك الاجتماعي المتوارثة؛ كالآداب والأعراف والتقاليد والعادات والفنون والسنن المتوارثة في أمة من الأمم.[٨] فقد تراوحت معانيها بين من يعتبرها نشاطاً ذهنياً يقوم به الفرد والجماعة، وبين من يجعلها تشمل ((كل مظاهر التعبير التي تعرفها المجتمعات الإنسانية، من مجالات المعرفة، وأنواع العلوم، والفنون، وكل مظاهر الحياة، مما يجعلها تنهض بدور بارز في تشكيل وعي الأفراد والجماعات في كافة المستويات القيمية، والفكرية، ونتيجة للدور الهام الذي منحته المجتمعات للثقافة، باعتبارها الخزان الذي لا يتقادم، ولا ينفذ، بل الشعاع الذي يضئ الممرات داخل الحضارات)).[٩]

تتجلى ثقافة الشاعر ومصادره المعرفية في العمل الأدبي، من خلال وبنيته ومعانيه ودلالته وتأثيره الفني، فالأدب بوجه عام، وبالأخص الشعر؛ هو ثمرة من ثمار الثقافة، ونتاجها ومرآة لمعارفها وعواطفها[١٠]

فنتاج الشاعر الإبداعي من قصائد يوضح مدى ثقافته وعطاءه الفكري الذي استحوذ على ذائقة المتلقي، ومما تقدم في التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردة الثقافة يمكن ملاحظة مدى التقارب بين المدلولين، إذ يشيران إلى اكتساب الأشياء والظفر بها، وتبعاً لذلك فإن مصطلحي الثقافة

والمرجعية مرتبطان بوشائج وصلات ساعدت على ارتباط أحدهما مع الآخر فتكون مصطلح (المرجعيات الثقافية) التي تعني ((مجموع الخلفيات والأبعاد المعرفية والفكرية والثقافية التي ينطوي تحتها الخطاب الأدبي، وعادة ما تكشف لنا هذه الخلفيات والأبعاد عن أيديولوجيا وثقافة أمة من الأمم في العالم، أو مجتمع من المجتمعات، داخل القارة الواحدة، تكشف عن عاداتهم، تقاليدهم، لغتهم، تفكيرهم وغير ذلك)) [١١]. والشاعر عند توظيفه لمرجعياته الثقافية في نصه الإبداعي، يمنحه قيمة جمالية ودلالية من جانب، بينما يعرض من جانب آخر مجموعة من الأبعاد الإنسانية والمعرفية والفكرية، التي تبرز توجهات الشاعر وميوله ومواقفه سواء كان لديه توجه ديني أو ثقافة أدبية أو ميول تاريخية.

ثانياً/ حياة الشاعر بوصفها مدخلا لمرجعياته الثقافية:

على الرغم من أن حياة الشاعر ليست من صميم البحث، لكن الوقوف عندها سيفصح عن بعض مرجعياته الثقافية التي اكتسبها خلال مراحل حياته المختلفة، وأسهمت في اثراء نصه الشعري بمنابع فكرية ومعرفية مختلفة.

فالبوصيري هو شرف الدين أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حماد، المغربي الأصل إذ يرجع نسبه إلى قبيلة صنهاجة المغربية، كانت ولادته في "دلاص" بصعيد مصر غربي النيل سنة (٦٠٨هـ)[١٢]، ونشأ في بوصير وهي إحدى القرى القريبة من الفيوم وتلقى دروسه الأولى فيها، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى القاهرة وفيها بدأ مسيرته العلمية ، فدرس العلوم المختلفة من الدين والفقه والتاريخ، والأدب والنحو والصرف والعروض، كذلك استقى التصوف من بعض شيوخه[١٣]، وقد ألم البوصيري بمبادئ الحساب ، وتزود بثقافة كاتب الديوان، ثم التحق البوصيري بالوظيفة، وكان عفيفاً ونزيهاً ومع ذلك لم يتحمل أخلاق الموظفين وسلوكياتهم السيئة، ودناءتهم ، وسوء معاملتهم للناس ، فقرر اعتزال الوظيفة ، وانعزل في بيته ، واتخذه كتاباً لتحفيظ القرآن الكريم ؛ ليكسب عيشه بشرف وكرامة[١٤].

كذلك درس البوصيري الإنجيل والتوراة، ودرس تاريخ الأديان وما كتبه علماء النصارى واليهود من مؤلفات لشرح الديانتين والدفاع عنها، وقد مكنه ذلك من مواجهة ادعاءات اليهود والنصارى وفضح زيفهم، حيث استلهم في مجادلته لهم بعض نصوص التوراة والإنجيل، وأقام الحجج المنطقية والتاريخية على بطلان ما ذهبوا إليه. [١٥]

أصيب البوصيري في أخريات أيامه بمرض عضال، أقعده عن الحركة، وتوفي بمدينة الإسكندرية، وأختلف الرواة في سنة وفاته؛ فقيل سنة ٦٩٥هـ، وقيل سنة ٦٩٦هـ، وقيل سنة ٦٩٧هـ. [١٦]

أما شعره ومكانته الأدبية فقد نظم الشاعر كثير من الشعر الذي عكس حياته الخاصة، وحياة المجتمع المصري في ذلك العصر، كان يظهر في بعض الأحيان بزي الصوفي الزاهد، وفي

أحيان أخرى بثوب المداعب المرح، وله قصائد كثيرة في المدح النبوي والدفاع عن الإسلام، وقصائد في الشكوى من حاله، وتذمره من الموظفين مثلت وعكست جانباً من سوء الوضع الاجتماعي، وعيوب الإدارة في مصر في تلك الفترة. [١٧]

نال البوصيري ثناء الدارسين القدامى والمتأخرين، فقد قال عنه الكتبي: ((وشعره في غاية الحسن واللطافة عذب الألفاظ منسجم التراكيب))[١٨]، ورأى د. ناظم رشيد ((إن أجود ما قال البوصيري من شعر كان في مدح الرسول الكريم ، ومن أهم سماته طول النفس، والتفصيل والاستقصاء في المعاني ، والميل الى الحجاج والمناقشة معتمداً على الأدلة الحسية والمعنوية والعقلية والمنطقية))[١٩] ، واتفق مع رأيه د. أحمد أحمد بدوي بقوله: ((وأجود شعره ما قاله في مدح الرسول . وإن شعره التهكمي وشعره في الهجاء، وشعره النقدي، يدلنا على نفسية حساسة لطيفة العشرة، غير متزمتة))، [٢٠] وهو ما اتفق عليه أغلب الأدباء والنقاد بأن أجود شعره كان في المديح النبوي.

فهذه المحطات في حياة الشاعر تفتح لنا أفاقاً للوقوف على مرجعياته الثقافية في نصه الشعري، وكيف تفنن الشاعر في بلورة وصهر تلك المرجعيات، عن طريق استعمال الوسائل الفنية والبلاغية لخلق نص أدبي مكتنز بهذه المرجعيات، سواء كانت مرجعيات دينية أو أدبية أو تاريخية.

المبحث الأول: المرجعيات الدينية:

تعد المرجعية الدينية من أكثر المرجعيات الثقافية حضوراً في الثقافة العربية الإسلامية، لما تحمله من أبعاد معنوية وفكرية في تشكيل النص، وبلوغه غايته المنشودة في اقناع المتلقي، ونيل اعجابه، ومد المبدع بثراء فكري يوسع به مداركه ويقوي به حججه، فالمرجعية الدينية كانت ولازالت مصدر إلهام الشعراء والأدباء، وذلك باعتبارها شاملة لكل المقدسات العقائدية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وجل شعائر الدين الإسلامي.

ان المطلع على النصوص الأدبية للشاعر، يلاحظ ان الثقافة الدينية اثرا واضحاً في تكوين ثقافته الشعرية، لاسيما الخطاب القرآني، الذي يعد أبرز المرجعيات الثقافية، إذ جسدت بذلك هويته الاسلامية أولاً، وأهميتها في نفس المتلقي ثانيا، فضلاً عن اكساب النص الأدبي ابداعاً فنياً، من حيث المعنى والمبنى والتركيب.

وقد تجلت هذه المرجعيات من خلال اقتباسه من آيات القرآن الكريم، أو استلهام بعض معانيه، أو بتضمين بعض أفكاره، أو نصوصه في نصوصه الشعرية، أو بالاستفادة من أساليبه وصوره؛ كون القرآن الكريم يعد ((المنبع الأول والأخير للثقافة الاسلامية، وكل ما عداه تبعٌ له وقائم عليه)) [٢١]

((وقد أثر هذا الكتاب العظيم آثاراً بعيدة في اللغة العربية، فقد حول أدبها ...، إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل الحياة والجماعة، وينظم أمورها الدينية والدنيوية. فارتقى الأدب العربي رقياً لم يكن يحلم به العرب، واتسعت آفاقه)). [٢٢]

تعددت صور الاقتباس بشكل كبير في الديوان، وكشفت عن تشرب وإلمام الشاعر بالنصوص القرآنية، فأخذ ينهل من القرآن الكريم، من ألفاظه، وتراكيبه وأدخلها في سياقاتها، أو أوردها في سياقات أخرى تتناسب مع فحوى ما ينظمه، ومن صور ما استحضره البوصيري من مرجعياته الدينية؛ ليعزز به نصه الشعري ويقوي معناه ويوصل مراده. في مثل قوله في المديح إذ اقتبس آية قرآنية ليؤكد بها معناه مع الحفاظ على التركيب القرآني:[٢٣]

(من الخفيف)

رَضِيَ الله عنهُمُ ورَضُوا عَنـ ـهُ فأنَّى يَخطو إليهم خَطاءُ

اشارة إلى ما جاء به النص القرآني الكريم بقوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عنه﴾ [٢٤]

لقد تبوأ القرآن الكريم المقام الأول من بين المرجعيات التي أثرت وشكلت نتاجه الشعري، فنجده يقتبس أكثر من آية في البيت الشعري، ولا يقتصر على آية واحدة، وهذا يشير إلى مرجعية نسيجها آيات من سور شتى، في مثل قوله في ذم اليهود ومعرض دفاعه عن الإسلام:[٢٥]

(من الخفيف)

قَتلُوا الأنبياءَ واتَّخذُوا العِجْـ ـلَ ألا إنَّهُمْ هُمُ السُّفـهاءُ

فهو يشير إلى موقف اليهود من الأنبياء (عليهم السلام) فصدر البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ كُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [٢٦] وعجز البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢٧] استحضر الشاعر آيات القرآن الكريم في نصه الشعري؛ ليكسوه فخامةً وبلاغة، وليقيم الحجج على اليهود بعدائهم للرسل الكرام (عليهم السلام)، فظلموا بذلك أنفسهم.

ولا يقف البوصيري عند هذا الحد بل يذهب إلى التناص مع عدة سور من القرآن الكريم، إذ يستحضر أكثر من سورة واحدة في نص شعري واحد، ليعطي صورة واضحة عن عمق الإشارة لتوظيف هذه الألفاظ والآيات داخل النص الشعري، إذ يقول:[٢٨]

(من الرمل)

مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ للخَلْقِ فَلا عجب أن يَتَوَلَّى الصالحينا

شَهِد الكُفّارُ بالغَيْبِ لَهُ وَأَتاهُمْ فَإِذَا هم مُبلِسونا

أغلقوا باب الهُدَى مِن دُونِهِمْ بَعْدَما كانوا بـه يستفتحونا

وأَتاهم بكتابٍ أحكِمت منـه آياتٌ لقوم يعقِلونا

البيت الأول اقتباس من قوله تعالى: ﴿انَّ وَلِيِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٢٩].والبيت الثاني من قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٣٠]، والبيت الثالث من قوله تعالى: ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَبٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣١] والبيت الرابع من قوله تعالى: ﴿الر كتَبٌ أَحْكَمَت ايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٣٢] فقد وضف البوصيري الآيات القرآنية بما يخدم غرضه الشعري، في مدح الرسول، وتعداد فضائله من خلال استعارة الألفاظ القرآنية، وما تحمل من جرس موسيقي يناسب غرض القصيدة، ويعمل على إثارة المتلقي.

تنوعت مصادر إلهام الشاعر من القرآن الكريم، فتارة يستوحي مضمون الآية أو فكرتها الأساسية، وتارة يستدعي بعض الألفاظ والتراكيب القرآنية، أو يشير إلى أحداث وشخصيات ذكرت في القرآن الكريم، وهو على هذا المنوال في جل قصائده وخصوصاً قصائد المدح النبوي، فقام بتوظيف التراث الديني مستنداً بشكل رئيس على القرآن الكريم والسيرة النبوية والحديث الشريف، فضلا عن ما حوته الكتب السماوية الأخرى، وقد استدعى الشخصيات الدينية، ووظفها في شعره كما أدخل القصص القرآني والمعاني المستوحاة من كلام الله في أبياته، مما يعكس إلمامه الكبير بالتراث الإسلامي. وسنقف على بعض الأمثلة الشعرية التي توضح ذلك.

مثل قوله مؤرخاً للسيرة النبوية المباركة:[٣٣]

(من البسيط)

وجَاهَدوا معهُ في اللهِ واجْتهدُوا وهاجرُوا ولَهُ آووا وقَد نَصرُوا

وبَينُوا الفَرضَ والمسنُونَ واعتَصبُوا للهِ واعتصمُوا باللهِ وانتصَرُوا

انتقل النص القرآني في جانب السيرة النبوية؛ إذ ان المهاجرين والانصار هم الذين نصروا الرسول، وأيدوه وجاهدوا معه، فاتخذ البوصيري من خلال السرد آلية لنقل المرجعياته الدينية في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٣٤]

ومن أمثلة توظيف البوصيري لما جرى على أهل بيت النبوة (عليهم السلام) من أحداث بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) متخذاً من السرد آلية لتوظيف هذه المرجعيات في نصه الشعري، مكسبة إياه عمقاً وتأثيراً في نفس المتلقي، بقوله:[٣٥]

(من الخفيف)

وبريحانتين طيبهما منـ ـك الذي أودعتهما الزهراء

من شهيدين ليس ينسيني الطف مصابيهما ولا كربلاء

ما رعى فيهما ذمامك مرؤو س وقد خان عهدك الرؤساء

أبدلوا الود والحفيظة في القر بى وأبدت ضبابها النافقاء

لقد أفاد الشاعر من مرجعياته الدينية في استحضار ما جرى على أهل بيت النبوة (عليهم السلام) من ظلم ومحن فنقل الشاعر آلامه وآهاته وتحسره على ما جرى عليهم؛ من ظلم بسبب ترأس الخونة الذين لم يراعوا صلتهم بالرسول (ص)، وهما امامان بدليل قوله النبي المصطفى(ص) : ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا))[٣٦] فهما وديعة الزهراء (عليها السلام)، ووصية الرسول الاكرم (ص)، وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله: ﴿قُل لا أسألُكم عليه أجْراً إلا المودَّة في القُربى﴾[٣٧].

لقد اتكأ الشاعر على القرآن الكريم، في إظهار فضائل الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) وممدوحيه واستحضاره في شعره أدى إلى؛ إيضاح المعنى، وإكساء النص بطاقات ومعاني قدسية.

ولما كان الحديث النبوي الشريف يمثل الامتداد الطبيعي للقرآن الكريم، بدليل قوله تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣٨] لذا نراه يفرض حضوره عند البوصيري؛ لما يحمل من معانٍ سامية، ودلالات واضحة، تقوي النص الأدبي، وتعمل على اقناع المتلقي.

والمتصفح لديوانه يجد ان المديح النبوي قد حظي بالحيز الأكبر من ديوانه ففيه إشارات لمولده ونشأته وسيرته وخلقه وغزواته ومنزلته يصعب حصرها في هذا البحث إلا ان تناصه مع الحديث النبوي الشريف كان وجوده قليلاً بالديوان.

ومن أمثلة تضمين الحديث النبوي الشريف الذي كان على قلته في شعره، مقارنة بالقرآن الكريم يأتي نصا أو إشارة أو تلميحاً قوله: [٣٩]

(من الكامل)

وكَيفَ يَخْلُو الطِّفْلُ مِن فطنةٍ وَكُلُّ مَوْلُودِ عَلَى الفطرَة

فالبيت الشعري متضمن معنى الحديث النبوي الشريف: ((كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوْدَانِهِ أَوْ ينصرانه أَو يُمَجِّسانه))[٤٠] فمضمون الحديث إن الإنسان يولد نقيا كالورقة البيضاء، متهيأ لقبول الحق، والصفات به فيما بعد كلها مكتسبة؛ مثل الدين والعقائد وغيرها، وقد أفاد البوصيري من الحديث النبوي في اسناد ودعم نصه الشعري، وتقوية معناه، ففطرة الإسلام فطر الله الناس عليها والانسان الفطن لا يحيد عنها.

ومن قوله في معرض تنزيه نفسه عن اللهو واللعب:[٤١]

(من الكامل)

أعْرَضْتُ عَنْ لهُوَ الحَدِيث وقُلْتُ يَا مَدْحَ الوَرَى عَنِّي فَمَا أَنَا مِنْ دَدِ

ففي البيت الشعري تضمين للحديث الشريف: " ما أنا من دد ولا الدد مني" [٤٢]، الذي نزه فيه الرسول الأكرم (ص) نفسه عن اللهو واللعب، ومعرض حديث الشاعر نزه مديحه للرسول، فجعله يعلو على مدح كل الورى.

لقد شكل الخطاب الديني بوصفه أساساً العلوم والمعارف أرضية انطلق من خلالها البوصيري للتعبير عن مواقفه وآرائه واتجاهاته وأفكاره وبتوظيفه في نصه الشعري؛ أكسب نصه قوة وأصالة وفخامة وقداسة.

المبحث الثاني: المرجعيات الأدبية:

لقد شكلت المرجعيات الأدبية رافداً مهما من روافد الثقافة العربية عند الشعراء، وكونت شخصياتهم الأدبية، إذ كانت أشعار السابقين وأقوالهم معيناً ومادة دسمة اعتمد عليها الشاعر في بناء نصه الشعري؛ عن طريق حفظ أدب السابقين واستيعابه والتمكن من أدواته، فمزج بذلك الشاعر تجاربه الحاضرة وموروثه الأدبي في نص واحد، فخلق نصاً جديدا أكثر قوة وطاقة، ان دراسة وحفظ الشعر القديم الجيد يعد أمراً مهماً في تكوين ثقافة الشاعر، يسهم في تعمقه في فنه والوصول إلى الإبداع، وقيل : ((فِي ذَلِك إِلَى مَا يُحْكَى عَن خَالد بن عبد الله القَسْريّ، فَإِنَّهُ قَالَ: "حَفَّظَني أبي أَلْفَ خُطبَةٍ ثمَّ قَالَ لي: تناسَهَا؛ فتناسيْتُهَا؛ فَلم أُرْدْ بَعْدُ شَيْئا من الْكَلَام إلاّ سَهُلَ عليَّ". فَكَانَ حِفْظُهُ لتِلْك الخُطَب رياضَةً لفَهْمِهِ، وتَهْذيباً لطَبعِهِ، وتلقيحاً لذهنِهِ، ومادَّ ةً لفصاحَتهِ، وسبَبَاً لبلاغَتهِ)).[٤٣]

لقد أدرك النقاد العرب منذ القدم ضرورة تمثل الشاعر الأشعار الماضين، واستلهامها ضمن معانيهم، لأن أهم أدوات الشاعر هي: ((الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه)).[٤٤]

شكل الأدب العربي حضوراً بارزاً في نصوص الشاعر، إذ أخذ البوصيري ينهل من ينابيع الأدب العربي؛ شعره، ونثره حيث ضمن البوصيري شعره أصوات الماضين؛ من شعراء العصر الجاهلي، والإسلامي، والعباسي. فمن صور استحضاره لنصوص العصر الجاهلي قوله:[٤٥]

(من الطويل)

وَمِنهُمْ أُناسٌ يُظْهِرُونَ مَوَدَّتي وبُغضُهُمُ لِي مِنْ قِفَا نَبِكِ أَشْهَرُ

لقد استحضر الشاعر جملة "قفا نبك" في نصه الشعري، وهي كما هو معروف مطلع معلقة امرئ القيس الذائعة الصيت والشهرة في قوله: [٤٦]

(من الطويل)

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللَّوَى بَينَ الدَّخولِ فَحَومَلِ

وأراد الشاعر في نصه بيان حجم الكره والبغض والنفاق من هؤلاء الناس، رغم أنهم يظهرون مودته وحبه إلا ان بغضهم له وللإسلام واضح تدل عليه أفعالهم، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون.

ومن صور توظيف التراث الأدبي في شعره وانتقد فيه بعض الظواهر في عصره قوله :[٤٧] (من الوافر)

وَلَوْلا ذَاكَ مَا لَبِسُوا حَرِيراً ولا شَرِبُوا خُمُور الأندرينا

فقد وظف البوصيري مطلع معلقة عمرو بن كلثوم في قوله:[٤٨]

(من الوافر)

ألا هُبِّي بِصَحْتِكِ فَأَصْبَحِينَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

لقد استحضر البوصيري هذا البيت الشعري الذي يعكس أجواء الرفاهية والإفراط في الملذات، ووظفه بما يخم معناه من ذم أخلاق الموظفين الرديئة ودناءتهم وسوء أخلاقهم، وسوء معاملتهم وابتزازهم للناس، فشكاهم للوزير مبيناً له انهم ماو صلوا إلى هذه المرحلة من الترف، إلا بسبب ابتزازهم للناس وجشعهم وطمعهم فمن خلال استحضار هذا الموروث الأدبي قدم لنا البوصيري نقداً اجتماعياً لبعض الظواهر المنتشرة في عصره في ذلك الوقت.

ودأب الشاعر ينهل من الموروث الأدبي الشعري في العصر الإسلامي والعباسي نحو قوله:[٤٩]

(من الكامل)

مُستَوحِشٍ في أُنسهِ مُتعاهِدٍ بِحنِينهِ شَوقاً لأولِ مَعهدِ

أخذ معناه من قول أبو تمام: [٥٠]

(من الكامل)

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأولِ منزلِ

لقد استحضر الشاعر هذا الموروث الشعري في نقل تجربته الشعرية، مبيناً أن الفرد سيبقى يشعر بالوحشة حتى في حالة أنسه وتواجده بين الناس، ودائما سيحن إلى ما فقده ويتشوق له؛ سواء كان المفتقد مكاناً أو ذكريات من الماضي.

أما المقدمات وهي من التقاليد الفنية التي دأب عليها الشعراء في العصر الجاهلي والعصور اللاحقة، فكانت مقدمات بعض من قصائد البوصيري لا تخرج عن هذا الإطار، إذ وشح بعض من قصائده بهذه المقدمات ففي قصيدته "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" والمعروفة باسم " البردة " نجده قد افتتحها بمقدمة غزلية على غرار قصائد العصر الجاهلي بقوله:[٥١]

(من البسيط)

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ وأَوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ مِنْ إضَمِ

فَما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتَا وما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

نجد الشاعر قد وظف هذا الموروث الأدبي الذي سار عليه الشعراء الجاهليين، ومن تبعهم من شعراء العصور اللاحقة فقد استهل البوصيري قصيدته بالبكاء على الأطلال والنسيب، سيراً على عمود القصيدة العربية، ثم انتقل لغرضه الأساس وهو مدح الرسول(ص)، فالغزل لديه ((وان عالجه فهو لم يصدر عن تجربة ومعاناة بل جاء تقليداً في مطالع قصائده)).[٥٢]وهي على غرار ميمية أبي تمام التي يقول في مطلعها:[٥٣]

(من البسيط)

سلّم على الربعِ من سلمى بذي سلمِ عليهِ وسمٌ من الأيَّامِ والقِدَمِ

لقد كان حضور التراث الأدبي الشعري قوياً في شعر شرف الدين البوصيري، إذ نلاحظ تأثره واستحضاره لنصوص العديد من الشعراء ومن عصور مختلفة، وقام بتوظيفها بدلالتها أو بتحوير بالدلالة، مما أكسب شعره طاقة وقوة وجمالاً.

لم يقتصر استحضاره وتفاعله مع النصوص الشعرية فحسب، بل شمل الفنون النثرية حيث تفاعل مع الأمثال العربية المشهورة فهي ((وشي الكلام وجوهَرُ اللفظِ، وحَلْي المعاني، لم يِسر شيء مسيرها، ولا عَمَّ عُمُومَها، حتى قيل: أَسْيَرُمن مثل))[٥٤] لما تنطوي عليه من دلالة ورمز وشدة اختزال، فعمد البوصيري إلى هضمها وامتصاصها وتحويرها، بما ينسجم مع الفكرة المراد طرحها.

ومن صور توظيف الأمثال في شعره قوله في همزيته المشهورة في مدح سيد الأنبياء والمرسلين (ص):[٥٥]

(من الخفيف)

فِعلُهُ كلُهُ جَميلٌ وَهل يَنْضَحُ إلا بما حَواه الإناءُ

لقد وظف البوصيري في هذا البيت الشعري، واستحضر المثل العربي الشهير: "كُلُّ إناءٍ يرشَحُ بِما فيهِ"[٥٦] بعد ان أعاد صياغته وحوره بأسلوب استفهامي، ليصف أفعال النبي الأكرم (ص) وخصاله الجميلة والحميدة، وما أفعاله وصفاته هذه إلا انعكاس لطبيعته الداخلية النقية. فكما أن الإناء لا يفيض إلا بما فيه، كذلك النبي محمد لا تصدر منه إلا الأفعال الجميلة، وهذا نابع من طبيعته الطاهرة والنقية، فالإنسان لا يُظهر إلا ما هو موجود في داخله.

ولايزال البوصيري ينهل من ينابيع الأمثال العربية ويستثمرها في شعره بقوله:[٥٧]

(من البسيط)

مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعترك حَتَّى حَكُوا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضم

فالشاعر وظف المثل العربي: ((تركتُهُم لحْمًا عَلى وَضَمٍ)) [٥٨] ويضرب هذا المثل إذا أوقع بهم وأوجع فيهم، والوضم ما وضع عليه اللحم من خشب وحصير [٥٩] . وقد استدعى الشاعر هذا المثل ليعبر عن ضراوة وشدة المعارك التي خاضها الرسول الأكرم (ص) مما يعكس شجاعته

وصلابته وقوته، فمن خلال هذه الصورة الاستعارية استعرض الشاعر صفات الرسول القيادية وشجاعته في ساحات القتال للدفاع عن الإسلام فأذلهم وأوجعهم.

لقد شكلت الفنون الأدبية الشعرية والنثرية رافدا من روافد المرجعيات الثقافية للبوصيري، وأسهمت بإغناء النص الشعري وقوته وشدة تأثيره.

المبحث الثالث: المرجعيات التاريخية:

لكل أمة من الأمم ثقافة وتاريخ يكونان ملازمين لها في كل زمان ومكان، فلها ماضيها الذي يعد موضع اعتزازها وفخرها، فضلاً عن اعتزازها بتراثها الذي ترسخه في نفوس أجيالها، فالثقافة التاريخية غنية بالكثير من الأحداث والشخصيات والأماكن والوقائع والأيام التي يوظفها الشاعر في شعره، ويجعل منها مرجعيات تاريخية يستدعيها في بناء نصوصه الشعرية، فالمرجعية التاريخية تمثل رافداً مهما من مصادر الالهام الشعري عند كثير من الشعراء ، ولمختلف العصور ، فهي لا تقل شأنا عن بقية المرجعيات الثقافية الأخرى ، إذ يسعى الشاعر عبر هذا الاتكاء التاريخي منح النص طاقة تعبيرية جديدة، تدعم وتسند ما يروم قوله.

لقد نهل الشاعر شرف الدين البوصيري من هذه المرجعيات التاريخية ووظفها في شعره، وهذا يدل على ثقافته الواسعة، فهو لم يكتف بما لديه من معرفة أدبية ودينية بل تجاوزها إلى مصادر ومعارف أخرى، جعلت منه شاعرًا موسوعياً؛ فالمتصفح لديوانه يجد أن لديه ثقافة تاريخية مكنته من إثراء مادته الشعرية، فتجلت في ديوانه بعض الشذرات التاريخية نستخلص منها شخصيات ووقائع وأحداث تاريخية متنوعة ومتعددة.

فمن صور المرجعيات التاريخية في شعره؛ استدعائه لشخصيات أدبية تراثية هدفه في استحضارها الرغبة في نيل المكانة الرفيعة في الشعر، والوصول إلى مجد الأوائل بقوله:[٦٠] (من الطويل)

فُتِنتُ بِشعرِي وهو كالسَّحرِ فتنةً وقُلْتُ كَذَا كَانَ امْرُئُ القَيْسِ يَشْعُرُ

البيت الشعري يجسد افتخار الشاعر بشعره، ومقارنته بشعر امرئ القيس، مما يعكس مدى احترامه لتراث الشعر العربي ومحاولته السير على خطى أهم شعرائه، والإشارة إلى امرئ القيس تضفي على النص بعدًا تاريخيًا وثقافيًا، حيث يعد امرؤ القيس رمزًا للشعر العربي الأصيل.

ومن صور توظيفه للمرجعية التاريخية استحضاره لشخصية حسان بن ثابت شاعر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:[٦١] (من المديد)

فَادْعُني حَسانَ مَدحٍ وزِدني إنني أحسنْتُ عنه المنابا

هذا البيت يعكس ثقة البوصيري واعتداده بشعره الذي نظمه في المدح النبوي، ويعكس أيضاً تطلعه للاعتراف ببراعته وجودته وتفوقه من قبل الآخرين، فحاول الشاعر انزال نفسه منزلة

حسان بن ثابت شاعر الرسول فالبوصيري باستدعائه لشخصية حسان ليس عشوائياً، بل هو توظيف لشخصية اختصت بمدح الرسول والدفاع عنه وبالمقابل لقد مثل شرف الدين البوصيري رقي هذا الفن، وبلوغه الرتبة الأرفع في تاريخ الشعر العربي؛ فمن خلال مطالعة ديوانه يتبن إن شعر المدح النبوي وحده يفوق سائر الأغراض الشعرية التي يدور عليها شعره، أي يكاد يبلغ ثلثي ديوانه.(٦٢)

ولايزال البوصيري يعلن عن تفوقه في شعر المديح النبوي ويشبه نفسه بحسان يصرح بتمكنه من فن الرثاء، مستدعياً شخصية الخنساء التي تعد رمزاً للحزن العميق على فقد الأحبة، وقد اتخذها خير مثل بقوله:(٦٣)

(من الخفيف)

أنـا حسَّانُ مَدحِكم فإذا نُحْـ ـتُ عَلَيْكُمْ فَإنني الخنسـاءُ

ان اختيار الشاعر لشخصيتي حسان بن ثابت والخنساء لم يكن عشوائيًا، فحسان يمثل القوة والاعتزاز، والخنساء تمثل الحزن العميق، هذا التوظيف يعكس فهمًا عميقًا لطبيعة المشاعر الإنسانية؛ من فرح وحزن وكيفية التعبير عنها، مما يدل على براعة الشاعر في استخدام الرموز التاريخية لتعزيز معانيه.

ومن صور توظيفه لشخصيات تاريخية في معرض مديحه للرسول (ص) قوله:(٦٤)

(من البسيط)

أنبَا سَطيحٌ وشِقٌ وَابْنُ ذِي يَزَنِ عنه وقُسٌ وأحبارٌ مقاوِيلُ

وعنه أنْبَأَ موسى والمسيحُ وقد أصغَت حواريُّهُ الغُرُّ البهاليلُ

فالشاعر يستحضر مجموعة من الشخصيات التي لها مكانة دينية وتاريخية عميقة، هذا الاستحضار يعطي النص ثقلًا وعمقًا، ويضع القارئ أمام مزيج من الأساطير والتاريخ والدين. فسطيح وشق كاهنان من كهان العصر الجاهلي، وسيف بن ذي يزن كان ملك من ملوك اليمن، وقس بن ساعدة من أبرز خطباء العرب ف العصر الجاهلي والأحبار المقاويل يريد بهم علماء اليهود المفوهين وكلهم قالوا بنبوته وتحدثوا عن قدوم نبي في آخر الزمان مثلما أنبأ عنه النبي موسى والنبي عيسى (عليهما السلام) فهو مذكور في كتبهم السماوية التوراة والإنجيل، والبيت الشعري يعكس التقدير العالي للنبي (ص)، ويشير إلى أن نبوته كانت معروفة منذ زمن بعيد لدى شخصيات دينية وتاريخية مختلفة، والبوصيري بهذا يضع النبي في مكانة عالمية وعابرة للثقافات، مما يعزز من شأنه ويؤكد على عظمة رسالته التي امتدت جذورها عبر التاريخ، من خلال توظيفه واستحضاره لشخصيات عربية جاهلية (سطيح، شق، قس بن ساعدة) وشخصيات دينية (موسى وعيسى والحواريين والأحبار)، ليرسخ فكرة أن نبوة النبي (ص) كانت معروفة في مختلف الثقافات والديانات.

ان توظيفه الشخصيات التاريخية كان كثيرا ومتنوعا، عزز من قوة النص، وزيادة دلالته منها قوله في مديح أحد الوزراء واسمه عيسى:[٦٥]

(من الكامل)

دُعِيَ ابنُ سِينا بالرَّئيسِ وَلَوْ رَأَى عيسى لَسَمَّى نَفْسَهُ المَرْؤُوسا

وَحَسِبْتُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكائِهِ بَهْرَامَ قارَنَ في العُلا بَرجيسا

يأيُّها المَوْلَى الوَزِيرُ ومَنْ لَهُ حِكَمٌ أغارَت منه رسطاليا

النص يعتمد بشكل كبير على التشبيهات والمبالغات البلاغية في مدح شخصية الوزير، إذ استدعى الشاعر شخصيات تاريخية وعلماء بارزين كابن سينا وأرسطو ليومئ لمدى عظمة هذه الشخصية الممدوحة. فالبوصيري يشير لمكانة ابن سينا الذي لقب بـ"الرئيس" بسبب علمه وحكمته لكنه لو رأى الوزير عيسى لسمى نفسه المرؤوسا تعظيماً للوزير واجلالاً له وهو معروف ببأسه وذكائه فهو نجم من نجوم العلم والمعرفة كبهرام كوكب المريخ وبرجيسا المشتري حتى ان حكمته لا تصلها حكمة الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس.

ان الشخصيات والرموز التاريخية التي استدعاها البوصيري في شعره كثيرة ومتنوعة، لا يسع المقام للتفصيل فيها، وقد تنوعت هذه الشخصيات بين شخصيات دينية وأدبية وتاريخية أسهم توظيفها في قوة النص وديمومته وزيادة دلالته.

تمثل الحوادث والوقائع والأيام مرجعاً ثقافياً تاريخيا، ومن صور توظيفها في شعره والذي كان منسجماً مع الأحداث معززاً لصورتها قوله: [٦٦]

(من الكامل)

وأرحتَهُم من فتنَةٍ تُحيي لهُمْ في كلَّ يومٍ داحسًا وبَسُوسا

الشاعر بهذا البيت الشعري يمدح الوزير بسبب احلاله السلام ووقف النزاعات التي كانت مستمرة، فاستحضار الشاعر لأيام داحس والغبراء والبسوس وهي من أيام العرب، إشارة للفتن التي كانت مستمرة ولم يتم السيطرة والقضاء عليها إلا بحكمة وحنكة هذا القائد الحكيم، الذي استطاع أن يعيد الاستقرار، وينهي الفتن ويجعل الناس يشعرون بالأمن والاستقرار.

تعد الأماكن من المظاهر الثقافية التي وظفها البوصيري في مرجعياته الثقافية، المتمثلة في المرجعية التاريخية توظيفاً بارزاً، وما مثلته هذه الثقافة من مدن وأماكن لأن لبعض هذه الأماكن خصوصية إما دينية أو تاريخية. ومن صور توظيفه لها قوله:[٦٧]

(من الخفيف)

ونَحا المصطفى المدينةَ وَاشتا قتْ إليهِ من مكةَ الأنحاءُ

وظف الشاعر واستدعى الأماكن والبقاع المقدسة من مكة والمدينة في مدحه النبوي عند حنينه وتشوقه إلى الموطن الذي كان مهد الرسالة الإسلامية، فقد أسره حب النبي المصطفى فاحتل موطن ميلاده ونشأته مكانة خاصة في شعره.

وقوله في موضع آخر :[٦٨]

(من الوافر)

صلاةُ اللهِ ما سارت سَحابٌ عليه وما رَسا وَثَوى عَسيبُ[٦٩]

استدعى الشاعر "سير السحاب" و"عسيب" وهو جبل بنجد ليوكد مقدار الصلاة على النبي فهي دائمة مستمرة استمرار حركة السحاب، واستقرار وثبات جبل عسيب، فالشاعر قد اتخذ من الظواهر الطبيعية رموزاً تعزز من قوة المعنى وديمومته.

ومن صور توظيفه لأسماء المدن قال يهجو شخصا عانده في الشعر قوله:[٧٠]

(من السريع)

وَبَيْنَ دَارَينا كما بينَنا وأينَ مُراكشُ من فاسِ

لقد وظف واستدعى أسماء المدن مراكش وفاس وهما مدينتان بالمغرب [٧١] فالبعد بينه وبين هذا الشخص مقدار البعد بين مراكش وفاس.

ومن صور توظيفه لبعض الأماكن والمعالم التاريخية قوله في المدح النبوي:[٧٢]

(من الخفيف)

ليلةُ المولدِ الذي كانَ للدِّيـ ـنِ سرورٌ بيومِهِ وازْدِهاءُ

وتَدَاعَى إيوانُ كِسرَى ولَوْلا آيةُ مِنكَ ما تَدَاعـى البناءُ

وتراءتْ قصورُ قَيْصَر بالرُّو م يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ البطحاءُ

يشير البوصيري إلى أن ليلة ميلاد النبي(ص) كانت مناسبة مبهجة ومهمة للدين الإسلامي، وليلة مليئة بالفرح والسرور بقدوم النبي الأكرم(ص)، الذي سيكون له تأثير عميق على البشرية، وما تداعي وسقوط أعمدة إيوان كسرى (قصر ملك الفرس) إلا علامة على التغيير الكبير الذي حدث، وبالتالي يشير أن ملاد النبي محمد (ص) سيكون سبباً في انهيار قوى الشر وظهور الحق، وما حصول ذلك الا معجزة إلهية تبشر بالميلاد الكريم، ويذكر أن قصور قيصر الروم، التي كانت بعيدة، ظهرت وكأنها قريبة من مكة عند ميلاد النبي. هذه الظاهرة تشير إلى أن ميلاد النبي كان له تأثير عظيم على مستوى العالم. فاستدعاء الشاعر لبعض الأحداث التاريخية من تداعي إيوان كسرى وظهور قصور الروم البعيدة من الأحداث الكونية التي رافقت ليلة ميلاده المباركة ليسلط الضوء على الأثر العظيم لميلاد النبي على الأحداث التاريخية والكونية، مؤكداً على مكانته العظيمة وتأثيره الواسع.

فالمرجعيات التاريخية في ديوانه شكلت نسبة كبيرة لا يمكن حصرها لضيق المقام، وما استحضاره لأسماء البلدان والأماكن وحتى الظواهر الفلكية والأحداث والأيام في شعره كان نتيجة لإدراكه العديد من العلوم والمعارف وبالتأكيد يكون قد تعلمها نتيجة كثرة المطالعة والتبحر في العلوم المختلفة، فأكسب نصوصه قوة وتأكيدا وبعداً دلالياً.

فهذا الزخم الثقافي يعود إلى تشكل الثقافة في ذات المبدع وغرفه من ينابيع العلم والمعرفة، فأبدع الشاعر في ديوانه وجعل منه موسوعة متعددة المعارف، فينهل منها المتلقي أدبا وثقافة، وعلما، وأخلاقا وقيما إنسانية.

الخاتمة

إن البوصيري كان على قدر عالي من الثقافة، وذلك نظرا لما لمسناه من تعدد في مرجعياته الثقافية من خلال اقتباساته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتضمينه من أبيات الشعر العربي والأمثال العربية وأيضا من خلال إشاراته إلى حوادث تاريخية، وشخصيات وأسماء أعلام من الأنبياء والشعراء وهذا ما يحيلنا تلقائيا إلى أن شعره كان حافلا بعدة روافد ثقافية متنوعة.

يتبين لنا ان الشاعر كان يغرف من كل العلوم وينهل من جل المعارف فيأخذ منها ليلبسها طابعًا جديداً ويوظفها في شعره وهذا يدل على عمق فكره وسعت معرفته وبعد نظره، وامتلاكه لآليات تطويع النص الشعري في أي قالب أراده.

كان للمرجعية الدينية النصيب الأكبر من اهتمام الشاعر، والمورد الأكثر حضورا في شعر البوصيري، فقد كان للقرآن الكريم الأثر الواضح بوصفه منبعاً من منابع الإلهام الشعري الذي وجد فيه ضالته الشعرية، فأقتبس من آياته الكثير، واستطاع أن يسخرها لصالح موضوعه ولاحظنا دقة استحضاره للنصوص المقدسة مما يشي بعمق ثقافته الفقهية وتضلعه في الفكر الديني واطلاعه على مبادئ الأديان الأخرى.

أما المرجعية التاريخية التي شكلت الرافد الثاني، الذي أمد تجربة الشاعر بمعين لا ينضب، إذ تمثل في استلهام الحادثة التاريخية من وقائع وأيام، وتوظيف الشخصية التاريخية بأسلوب رمزي بما يخدم نصه الشعري

نهل البوصيري من فيض الأدب العربي شعره ونثره ونلحظ تأثره الواعي بكبار الشعراء من ذوي القدرات الفنية العالية، على شاكلة الشعراء الجاهليين وشعراء العصر الإسلامي والعباسي فتداخلت تعابيره الشعرية مع نصوصهم وقد وصل به حد التأثر بهم التصريح بأسمائهم كامرئ القيس وجرير وحسان.

الهوامش

[١]) كتاب العين:١/ ٢٢٦.

[٢])لسان العرب: ١٨/١٥٩١.

[٣]) سورة العلق: ٨.

[٤]) ينظر: المرجعيات الثقافية للشعر الشيعي في العصر العباسي _ أطروحة دكتوراة: ٢٠.

[٥]) ينظر :معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٩٧.

[٦]) م.ن : ٩٧.

[٧]) لسان العرب: ٨/ ٤٩٢

[٨]) ينظر: المعجم الأدبي :٦٠.

[٩]) الخطاب الثقافي في زمن التحولات: ٩٨.

[١٠]) ينظر: الأدب العربي بين الدلالة والتاريخ :٩٦.

[١١]) المرجعيات الثقافية بين المفهوم والتوظيف، مجلة البحوث والدراسات، مج١٦، ع٢، الجزائر، ٢٠١٩: ٢٥٧.

[١٢]) ينظر : فوات الوفيات : ٣/٣٦٢.

[١٣]) ينظر: البوصيري شاهد على العصر المملوكي: ٧.

[١٤]) ينظر في أدب العصور المتأخرة: ٧٧.

[١٥]) ينظر: البوصيري شاهد على العصر المملوكي: ٩.

[١٦]) ينظر: الوافي بالوفيات: ٣/ ٩٣.

[١٧]) ينظر: في أدب العصور المتأخرة: ٧٨.

[١٨]) فوات الوفيات: ٣/٣٦٤.

[١٩]) في أدب العصور المتأخرة: ٨٢-٨٣.

[٢٠]) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية: ٣٠٢.

[٢١]) الثقافة الإسلامية : ١٤

[٢٢]) الفن ومذاهبه في النثر العربي: ٤٦

[٢٣]) ديوان البوصيري: ٢٧.

[٢٤]) سورة المجادلة: ٢٢

[٢٥]) ديوان البوصيري: ٢٢

[٢٦]) سورة البقرة:٩٢.

[٢٧]) سورة البقرة :١٣

[٢٨]) ديوان البوصيري: ١٨٣-١٨٤

[٢٩]) سورة الأعراف:١٩٦.

[٣٠]) سورة الأنعام :٤٤.

[٣١]) سورة البقرة: ٨٩.

[٣٢]) سورة هود: ١.

[٣٣]) ديوان البوصيري : ٩٤

[٣٤]) سورة الأنفال : ٧٤.

[٣٥]) ديوان البوصيري :٢٦.

[٣٦]) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٣٠.

[٣٧]) سورة الشورى:٢٣.

[٣٨]) سورة النجم: ٣-٤

[٣٩]) ديوان البوصيري: ١٠٦.

[٤٠]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٣/٢٤٦.

[٤١]) ديوان البوصيري : ٧٣.

[٤٢]) عوالي اللئالي: ١/ ٦٩.

[٤٣]) عيار الشعر: ١٦.

[٤٤]) م.ن: ١٠.

[٤٥]) ديوان البوصيري: ١٠٥.

[٤٦]) ديوان امرئ القيس: ٢٩.

[٤٧]) ديوان البوصيري: ١٨٩.

[٤٨]) ديوان عمرو بن كلثوم: ٦٤.

[٤٩]) ديوان البوصيري: ٦٦.

[٥٠]) شرح ديوان أبي تمام: ٤٦٢.

[٥١]) ديوان البوصيري: ١٦٥.

[٥٢]) البوصيري شاهد على العصر المملوكي: ٧١.

[٥٣]) شرح ديوان أبي تمام: ٢٥٢.

[٥٤]) العقد الفريد: ٣/٣.

[٥٥]) ديوان البوصيري: ٢٣.

[٥٦]) مجمع الأمثال: ١٩٢/٢ .

[٥٧]) ديوان البوصيري: ١٧١.

[٥٨]) زهر الأكم في الأمثال والحكم: ١/ ٣١٧.

[٥٩]) ينظر: م.ن: ١/ ٣١٧.

[٦٠]) ديوان البوصيري: ١٠٣.

[٦١]) م.ن : ٣٦.

[٦٢]) ينظر: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي: ١١٨.

[٦٣]) ديوان البوصيري: ٢٧.

[٦٤]) م.ن : ١٥٣.

[٦٥]) م.ن: ١٠٨.

[٦٦]) م.ن : ١٠٩.

[٦٧]) م.ن:١٣.

[٦٨]) م.ن: ٤٢.

[٦٩]) عسيب: جبل بعالية نجد. ينظر: معجم البلدان: ٤/ ١٢٤.

[٧٠]) ديوان البوصيري: ١١٢.

[٧١]) ينظر: معجم البلدان:٤/٢٣٠ و٥/ ٩٤.

[٧٢]) ديوان البوصيري : ١٠.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ الكتب المطبوعة:

١. القرآن الكريم.

٢. الأدب العربي بين الدلالة والتاريخ، عدنان عبيد العلي، منشورات جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٠.

٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨.

٤. آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، د. ياسين الأيوبي، جروس برس، ط١، طرابلس- لبنان، ١٩٩٥.

٥. البوصيري شاهد على العصر المملوكي، د. نبيل خالد أبو علي، دار المقداد للطباعة، ط٤، غزة، ٢٠٠٥.

٦. الثقافة الإسلامية، محمد راغب الطباخ، مكتبة طباخ إخواني، ط٢، حلب، ١٩٥٠.

٧. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ط٢، القاهرة، ١٩٧٩.

٨. الخطاب الثقافي في زمن التحولات، قراءات في المنجز الثقافي الفكري والنقدي، عبد الغني السلماني، عالم الكتب الحديث، ط١، أربد -الأردن، ٢٠١٦.

٩. ديوان البوصيري شرف الدين محمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت–لبنان، ٢٠٠٥.
١٠. ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، د.ت.
١١. ديوان عمرو بن كلثوم، حققه د. اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت،١٩٩١.
١٢. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق د.محمد حجي ود.محمد الأخضر، دار الثقافة، ط١، المغرب، ١٩٨١.
١٣. شرح ديوان أبي تمام، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت–لبنان، ١٩٩٢.
١٤. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت –لبنان، ١٩٨٣.
١٥. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن أبي جمهور الإحسائي، تحقيق آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، ط١، قم –إيران، ١٩٨٣.
١٦. عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥.
١٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٩.
١٨. الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٠، القاهرة، ١٩٨٣.
١٩. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤.
٢٠. في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، منشورات مكتبة بسام، الموصل – العراق، ١٩٨٥.
٢١. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار المعارف، القاهرة.
٢٣. مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار الكتب العلمية، ط٢، لبنان، ٢٠٠٤.
٢٤. المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠٠٧.
٢٥. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٦. معجم البلدان، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

٢٧. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرنأووط، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠.

ثانيا/ الرسائل والأطاريح الجامعية:

٢٨. المرجعيات الثقافية للشعر الشيعي في العصر العباسي، حسين نعمة بيتي العلياوي، أطروحة دكتوراة، كلية التربية – جامعة كربلاء،٢٠٢٢م.

ثالثا/ الدوريات:

٢٩. المرجعيات الثقافية بين المفهوم والتوظيف، د. حكيمة سبيعي، مجلة البحوث والدراسات، مج١٦، ع٢، الجزائر، ٢٠١٩.